١٤٢٢/١٠/٢١ مكة بسم الله الرحمن الرحيم

(الذكر اليقيني علماؤه وللفكر الظني شياطينه)

١- قبل ربع قرن كتبت في مجلة الدعوة إنكاراً لدعوى أحد الحزبيين الحركيين الهيئية على ظنه وهواه بأن المراد بقول الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾: نحن المختصون في كل فن.

وفي هذا العام وجدت اثنين (من كبار طلاب العلم الذين امتهنوا الفتيا بعلم وبغير علم) يردّدون هذه الدعوى المنكرة بلا دليل شرعي من الوحي أو الفقه فيه من أهل في القرون الخيّرة. ولا شك أن هذا التأويل لكلمات الله قول على الله وعلى مراده بلا بغير علم لمخالفته كل المفسّرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم (وآخرهم وأعلمهم ابن جرير الطبري ت٣١٠ وسيء على منهاجه: البغوي ت٥١٠ وابن كثير ت٧٧٤) رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم. بل لمخالفته لمجرد النظر في سياق الآية الكريمة والتي تليها: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون • بالبينات والزبر﴾ فاتفق المفسّرون على أن المراد بأهل الذكر: العلماء بشرع الله من وحيه، وأن المراد بالذكر: الوحي، وإنما اختلفوا في تعيين الوحي فالقول الراجح أنه المنزّل على من قبل محمد ﷺ فالمراد بأهل الذكر هنا: هم مؤمنو أهل الكتاب، والقول المرجوح: أنه القرآن، فالمراد بأهل الذكر: العلماء بالوحي والفقه فيه من أهل الأول.

وظنّ الشيعة أن المراد بأهل الذكر: آل بيت النبي ﷺ وحدهم، وظنّ المتصوّفة أن المراد بأهل الذكر: مشايخهم وأذكارهم المبتدعة، وظن الفكريّون والحركيّون والحزبيّون أن من أهل الذكر: المهنيّون والفنيّون فضحوا بابن القول على الله بغير علم أكثر من الشيعة والمتصوّفة.

وبلغ الأمر (من مفارقة منهاج السنة) درجة (أو دركة) أن سيّد قطب (وهو كبيرهم الذي علّمهم الخروج من منهاج السنة تجاوز الله عنهم جميعاً) سأل (من أهل ذكرهم) موسيقياً ورساماً فيما ابتدع من تفسير أو تصوير أو ظلال ليعيّنه على ضبط أوصاف الفاجرة لكلمات الله بأوصاف اللهو من موسيقى ورسم وتصوير وتمثيل في كتابيه: (التصوير الفني في القرآن) و(في ظلال القرآن).

ولا شك أن معنى (أهل الذكر) الذين أمر الله المشركين بسؤالهم هم العلماء بوحيه، وأن الذين أمرنا الله بسؤالهم هم العلماء بكتاب

الله وسنّة رسوله بفهم أئمة الفقه في القرون الخيّرة.
واتفق أهل العلم بالتّفسير منهم أن الآية نزلت ردّاً على المشركين في مثل قولهم: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ وقولهم: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فيما روي عن ابن عباس في سبب نزولها.
وقد سمّى الله كتابه (ذكراً) في آيات كثيرة، ولم يُسمِّ شيئاً من أقوال الأوّلين والآخرين وفنونهم وظنونهم بهذا الوصف، والآية التي لبّس أهل الأهواء بها ذلك تأويل آية محكمة لا تخفى على غير المتكلّفين.
وقال الله تعالى للمشركين: ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾ وقال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فهل يظنّ المتكلّفون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبيّن معنى هذه الآية أم يظنون أنّ الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم وأرضاهم كتموا بيان نبيّهم كلمات ربّه أم يظنون أنهم جهلوها وعلمها المحدثون المتنطعون المتفيهقون المتشدّقون ردهم الله إلى دينه وكفانا شرهم.
وقال الجاحدون المكذّبون: ﴿أؤلقي الذكر عليه من بيننا﴾ فعرفوا من معنى كلمة (الذكر) ما لم يفقهه بعض المنتمين إلى الإسلام والسنّة والدّعوة والفتيا لاختيارهم الفكر والهوى على الفقه.

ب - ولاتّباعهم ناعق الفكر والهوى أضلّهم عن شرع الله والفقه في دينه فنشأ خوّاصّ ولاة الأمر من العلماء والأدباء، وبذروا بذور الخلاف والفرقة والفتنة في بلاد ودولة الوحدة على مناهج النوه:
١) ظنّوا (فأثموا) أن المنجّمين (الراصدين الفلكيّين) هم من أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فأوجبوا الرّجوع إليهم وجعلوهم طبقة أعلى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، حاكمة على شرع الله بمجرّد الرّؤية في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، توكيداً أو نقضاً لشهادة الشهود، وتوكيداً أو نقضاً لقرار المجلس الأعلى للقضاء أو المحكمة العليا، ثم ينشرون شقاقهم في وسائل الإعلام ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، وإنما أتوا من قبل انبهارهم بفكر وآلات الحضارة الصناعية الغربية وعجزهم عن مماثلتها فضلاً عن التفلّب عليها (صناعة وإنتاجاً واستهلاكاً) فلم يبق لهم الاتّباع وإيجاب اتباعها على غيرهم من المسلمين..
ولا اتّهامهم بالمخالفة من أجل الشهرة إحساناً للظنّ بهم.

ج) وأعجب (ولا تسخر) من ردّهم شهادة الشهود المشتة عليهم في محاكم الشريعة (في بلاد ودولة تحكيم الشريعة) وقبولهم دعوى الراصد الفلكي الذي طعن تثبت عدالته وادّعاء وجوب قبولها.

د) وأعجب (ولا تسخر) من تخليهم عن لغة القرآن والسنة ولغتهم الأصلية التي اختارها الله لآخر رسالاته إلى خلقه، واحتضان لغة الراصدين الفلكيين تقليداً وترجمة للغة من لا خلاق لهم في الآخرة: ناعقي الحضارة الأوروبية والأمريكية، فهم يقيّدون بولادة القمر أو الهلال، ولأنهم لا يتبعون منطق العقل فضلاً عن الشرع: يقيّدون باختفائه أو غيابه لا بموته، وكل مولود يموت ولكن الهلال والقمر لا يولد ولا يموت، بل يظهر أو يزال أو يغيب بتقدير الله منازل.

ه) وأعجب ممن وكل إليه القيام بوظيفة دينية للمحافظة على الحكم بشرع الله في دولة الشرع ثم هو يفتح ذريعة للسخرة بتبنيه رأياً ضعيفاً عن جواز نقض السحر بالسحر، وينشره ويدافع عنه بحماسة لم نعرف مثلها عنه في نشر إفراد الله بالعبادة أو محاربة الشرك بأوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة أو مادون ذلك من البدع.

و) ولكن لماذا تعجب؟ ولهذا كبيرهم الذي علمهم القول على الله بغير علم (سيد قطب تجاوز الله عنه وعفا عنهم) يصف القرآن بالسحر في قوله: (لقد تلقوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون هؤلاء يسحرون فيؤمنون وهؤلاء يسحرون فيرتدون) التصوير الفني في القرآن، ص ٢٥ ط٧ دار الشروق عام ١٩٨٢ وعام ... ط٩.

وهذا تحت عنوان (كيف فهم القرآن) أما تحت (سحر القرآن) و: (منبع السحر في القرآن) ص ١١ و ١٧، فالعنوان يكفي للإنكار.

ودافع سيد عن وصف مشركي قريش النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن بقول الله عنهم: (بل هو شاعر) بأنهم لم يكونوا مجانين ولا جاهليين بخصائص الشعر يومها قالوا إنه شعر، لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وحس وجدانهم بما فيه من إيقاع جميل) وتلك خصائص الشعر الأساسية) وقال عن القرآن: (أخذ من الشعر الموسيقى الداخلية والفواصل والقافية المتقاربة) المصدر نفسه ص ١٠٥.

ز- وظن المتحولون من الفقه (من أهلهم) إلى الظن (من أهلهم) أن من أهل الذكر الذين شرع الله (لمن لا يعلم) سؤالهم: الخراصون فيما سمي: التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع مما يقوم على النظرية

لا على اليقين منذ وثنية اليونانيين إلى علمانية الأوربيين والأمريكيين؛ فنبذوا الذي هو خير وربطوا قاربهم بتقليد أدنى:

١) أسس الملك عبد العزيز رحمه الله فور توحيده الأرض المباركة على منهاج النبوة في الدين والدعوة باسم (المملكة العربية السعودية) ثلاثة معاهد دينية أولها: المعهد العلمي السعودي في مكة المباركة عام ١٣٤٥ للمقيمين في مكة والوافدين إليها، وثانيها: المعهد الشرعي في ينبع (بعد بضع سنين لأبناء بادية الحجاز، وثالثها: دار التوحيد بالطائف لأبناء نجد بخاصة ولغيرهم بعامة عام ١٣٦٤، وأتت المعاهد الثلاثة أكلها سنوات عديدة بفضل الله ثم برعاية الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ القائم على إدارة الشؤون الدينية (ومنها: المحاكم) في المنطقة الغربية والشيخ محمد بن مانع مدير المعارف (قبل تحولها إلى وزارة) والأستاذ حمود البرهيم أمير ينبع رحمهم الله جميعا.

وبموت المؤسسين وأعوانهم أو تركهم العمل تلاشت المعاهد الثلاثة فأغلق باب المعهد الشرعي في ينبع لقلة الراغبين فيه، وذهب اسم المعهد العلمي السعودي في مكة المباركة ورسم وحوّل إلى مدرسة عادية وذهب رسم دار التوحيد بالطائف وبقي اسمها.

٢) وأسس الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله (المعاهد العلمية) في آخر حياة والده رحمه الله عام ١٣٧١ بعد أن عهد إليه والده بتصريف شؤون الدولة قبل وفاته بثلاث سنين (في رواية عبد الله خليبي) وبخمس سنين (في رواية محمد الحاسر) تجاوز الله عنهما.

وأراد الله لهذه المعاهد الدينية البقاء والنماء حتى تجاوز عددها (٦٠) في الداخل والخارج بفضل الله ثم برحمة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة المباركة ثم الشيخ د. عبد الله بن عبد المحسن الترجي (حين كان مدير الجامعة الإمام) محمد بن سعود أثابهم الله جميعا.

٣) وأسس الملك سعود (بتفويض من والده) رحمهما الله كلية الشريعة بمكة المباركة عام ١٣٦٩، أول مؤسسة للتعليم العالي الشرعي في جزيرة العرب (التي اختارها الله واختار لفترة وجيزة من أهلها لتبليغ آخر رسالاته للناس) فكانت نواة لجامعة أم القرى. ثم أسس كليتي الشريعة واللغة العربية عام ١٣٧٣ (نواة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض).

ثم أسس الملك سعود رحمه الله الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية لتعليم أبناء المسلمين في الخارج (بخاصة): الالتزام بالتوحيد والسنة

وفي عام ١٣٨٠ افتتحت هذه المؤسسة الشرعية الوحيدة من نوعها برئاسة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وإدارة الشيخ عبد العزيز بن باز (المفتي بعده) رحمهما الله.

٤) ونفع الله بهذه المؤسسات التعليمية أعداداً لا تحصى من المسلمين في المملكة المباركة والقادمين إليها من المسلمين في الخارج وذهب سلفنا الصالح بالثبات على الحق وبالأجر أثابهم الله الجنة.

ثم خلفت من بعدهم خلوف اختاروا التقليد الجاهل على الاتباع، والظن على اليقين، والتطوير الشكلي والقدري على ملازمة ما كان عليه النبي وأصحابه ومتبعي سنته في القرون الثلاثة الخيرة وهو - بفضل الله وتوفيقه - ما كان عليه سلفنا من الأمراء والعلماء في القرون الثلاثة الأخيرة (١٢ و١٣ و١٤).

تسلل حزب الإخوان المسلمين المبتدع بحجة الاضطهاد في بلده ومنشئه فعاث فساداً وأفراده في أرض التوحيد والسنة فساداً للدين والدنيا كفى الله الإسلام والمسلمين شرهم، ونفدوا توجيهات الحزب كما أشار إليها القيادي في الحزب عبد الله ناصح علوان في كتابه: (عقبات في طريق الدعاة ص ٢/٥١٢ الى ٢/٦٠١) وعنه (خطر الارهاب والعنف في المملكة العربية السعودية للشيخ د. عبد السلام السحيمي الأستاذ بالجامعة ص ٩٨ الى ١٠٤) ومنها: (الاقتصار في تبليغ الدعوة على السر، الارتباط بجمعيات تعليم القرآن ومؤسسات البر والتعليم للعمل تحت مظلتها، استلام درس في مسجد أو خطبة على منبر أو تعليم في مدرسة، التدرج مع المنفذين (ولاة الأمر) من الضعاف فان لم تجد فالمدارات فان لم تجد فبالدعوة السرية، فتح مدارس خاصة، إقامة حفلات في مناسبات إسلامية، إقامة سهرات مفتوحة مع الشباب، إهداء الكتاب الإسلامي والشريط الدعوي.

واستولى الحزبيون وأتباعهم (خلال عقد أو عقدين منذ تسللهم) على المدارس والمساجد والمعاهد والجامعات والإعلام، فتحول العلم الشرعي الى ذوات (لا تسمن ولا تغني من جوع) مما يسمى بلفة الحزب: تربية إسلامية وتوعية إسلامية وثقافة إسلامية. وخصصت اللغة العربية بالانطلاقية، وخصصت العلوم الدينية في معاهدها بالنظريات الكونية، وفي جامعاتها بالطب والهندسة والإدارة والتجارة، وتنافس أبناؤها في كثرة التخصصات والمؤتمرات يحضرها غالباً الحزبيون والمبتدعة، وعلى العلم اليقيني السلام!